الحرب النفسية

الرائد طيّار/ محمد بن عبيد العتيبي



المقدمة

١. **عام:** الحمد لله أعز الإسلام بنصره، وأذل الشرك وأهله بقهره، وصرف الأمور بأمره، والصلاة والسلام على رسوله محمد رافع الشك داحض الشرك وماحق الإفك الذي جاهد في الله حق جهاده، فأحق الله به الحق وأبطل الباطل وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اقتدى بهديه إلى يوم الدين.

إن الحرب النفسية التي يواجهها المسلمون الآن، مشابهة للحرب النفسية التي تعرض لها أسلافهم في صدر الإسلام، وهي الحرب التي تستخدم الكلمة بدلا من المدافع والقنابل لتدمير الروح المعنوية وشل إرادة العدو ، وكان نجاح المسلمين في عهده عليه السلام في مجال الحرب النفسية ومواجهتها مدخلا للانتصار العسكري على مختلف جبهات القتال. كما أن انتصار المسلمين الآن يقتضي أولاً ضرورة الانتصار في مواجهة الحرب النفسية التي يتعرضون لها.

٢. **الهدف من البحث:** المشاركة بهذا البحث في الملتقى القرآني المصاحب لمسابقة الأمير / سلطان الدولية في حفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى الاطلاع والتثقيف في هذا الموضوع الذي يعتبر من أهم ما يواجه الأمة الإسلامية في هذا العصر، كذلك إعطاء القارئ تصور شبه واضح من هذا الموضوع قد يغنيه عن كتب أُلفت في هذا المجال.

٣. **تنظيم البحث:** لقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول وهي:

١) الفصل الأول: وتطرقت فيه إلى الحرب النفسية من حيث المفهوم والنشأة

٢) الفصل الثاني: وتطرقت إلى أنواع الحرب النفسية.

٣) الفصل الثالث: وتطرقت فيه إلى الاستعمار النفسي



الفصل الأول

مفهوم الحرب النفسية ونشأتها

عرّف الإستراتيجيون الحرب أياً كان نوعها بأنها فعل يقوم به فرد أو تقوم به جماعة بهدف إجبار الخصم على التسليم بما هو مطلوب منه أو بالأحرى ما هو مفروض عليه، فهي صراع دموي بين إرادتين تريد كل منهما التفوق على الأخرى بهدف حملها على التسليم. وتتباين الحرب تبعاً لأهدافها أو لنتائجها أو لأدواتها.

١. مفهوم الحرب النفسية.

المقصود بالحرب النفسية هي التي تؤثر على سلوك الإنسان ومعنوياته. فالنفس الإنسانية هي مقصد الحرب النفسية لأن النفس تتصف بالإرادة والاختيار ولأن الإنسان ـ جسد وروح ـ يتعرض لضغط الدوافع فإنه يستجيب لها بتوجيه الإرادة، لذا نجد أن هدف الحرب النفسية هو التأثير على النفس لإحداث الاستجابات المطلوبة والمعينة(١).

وعرفها بعض العلماء بأنها: الحرب التي لا تطلق فيها رصاصة ولا يراق فيها دم ولا يقتل فيها أحد، وأن أحسن صور الحرب هي التي تستطيع فيها دولة ما إضعاف موقف عدوها دون قتال.

الحرب النفسية متفاوتة المضمون في فكر وتصور الدارسين لها والكاتبين، لذا نجد مجموعة كبيرة من المصطلحات التي شاعت عن الحديث عن الصراع الأيديولوجي الذي يسود العالم اليوم من هذه المصطلحات: الحرب الباردة – الحرب المعنوية – الحرب السياسية – الحرب الدماغية – حرب الدعاية – حرب الإشاعة – الحرب السيكولوجية – حرب الدهاء ، وقد استخدمت بعض هذه الاصطلاحات على أنها مرادفات للحرب النفسية في ملحق معجم (وبستر) الدولي الجديد ١٩٤١م.

هي كمضمون موجودة منذ بدايات الصراع الإنساني فاختلاف الاصطلاح يرجع إلى اختلاف المضمون فمثلا البريطانيون يسمون النشاط الذي يطلق عليه الأمريكيون اسم الحرب النفسية يطلقون عليها الحرب السياسية وقد وصف سير روبرت لوكهارت هذه الحرب (بتطبيق الدعاية لتخدم حاجة الحرب).

(وفي عام ١٩٥٣ م أصبحت الحرب النفسية تعني الحرب الباردة أي النضال العالمي بين الشرق والغرب، وبعد الحرب العالمية الثانية وحتى الآن أصبحت الحرب النفسية المستمرة لا هي حرب فعلية ولا هي سلام حقيقي إنها الحرب الباردة)(٢).

---

(١) الحرب النفسية لمحمد المخلف: (الرياض: دار عالم الكتب، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ).

(٢) حامد زهران: عالم النفس الاجتماعي (بيروت: دار عالم الكتب، الطبعة الرابعة،١٩٧٧م) ٣٣٩.



٢. نشأة الحرب النفسية وتطورها

مفهوم الحرب النفسية ليس جديدا في معرفته وإنما في تسميته فقد عرف العالم منذ قديم الزمان أن استخدام طرق وأساليب مختلفة يؤثر في اتجاهات الناس وإن اختلفت الأسماء أيضا. واستمر التطور حتى وصل لما هو عليه الآن. ولعل قصة آدم عليه السلام مع إبليس تعتبر أول حرب نفسية في الكون.كما ظهرت بوادر الحرب النفسية في دعوات الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله إلى قومهم قبل نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

كما أن نشر الدعوة الإسلامية من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم استخدمت ما يسمى بالحرب الباردة والإعلام في الفترة السرية بمكة، حتى انتقلت إلى الحرب الساخنة في المدينة، كما أن أعداء الإسلام استخدموا أساليب متنوعة في حربهم على الإسلام، شملت الحرب الدعائية ، وإطلاق الشائعات واستخدام إثارة الرعب، واستخدام أساليب المقاطعة، فقد استخدموا أسلوب الكذب وهو إعلان كذب الدعوة وتكذيب صاحبها علية أفضل الصلاة والتسليم، ومنها اتهامه بالسحر والشعر والكهانة وكذلك طلب المعجزات، ومن ذلك بث اليأس في نفس النبي علية الصلاة والسلام بوصفه رجلاً أبتر.

كذلك استخدم المغول الجاسوسية للحصول على المعلومات لشن حملاتهم النفسية حيث لجئوا إلى الشائعات لتجسيد عدد قواتهم وعنف جنودهم فاسم القائد المغولي (جنكيز خان) مقترن بالرعب والخوف، فلقد كان يستخدم جواسيس عدوه كوسيلة لإرهاب جنود العدو أنفسهم , فما أن يقع واحد من هؤلاء الجواسيس في أيدي رجاله حتى يعرض عليه صورة مذهلة لقوة جيشه من حيث العدد والعدة والشراسة في الحرب ثم يطلق سراحه بعد ذلك ليعود إلى بلده فيروي لقادته بنفسه وكان كل جاسوس يذيع عند عودته ما يشبه البيان الرسمي الذي يلقنه إياه رجال جنكيز خان.

وجاءت الأنباء إلى (بهرام جور بن يزدجرد) ملك فارس بأن جيشاً من جيوش الأعداء قد استولى على إحدى المقاطعات التابعة له فسكت ولم يعر الأمر اهتماما كبيراً فغضب وزراؤه وتذمر الشعب كله لأنهم أحسوا أن في موقفه تهاوناً في حماية البلاد, و لكن الملك سارع فطمأنهم إلى أنه يعرف متى وكيف يحارب هؤلاء الغزاة. وبعد أيام دعا إليه ثلاثة من أمهر الرماة في جيشه لمقابلتهم سراً في قصره, وطلب منهم أن يقوموا بتنفيذ خطة تهدف إلى إثارة الفزع وقتل الروح المعنوية في نفوس جنود الأعداء, فأمرهم بأن يذهبوا إلى ناحية قريبة من المنطقة التي احتلها جنود الأعداء بعد أن يرتدوا ملابس صيادي الريف الفقراء وألا يتركوا طيراً ولا حيواناً إلا أوقعوا به. وتمت الخطة وحدث ما كان متوقعاً, فبينما كان الرماة يقومون بمهمتهم رآهم جنود الأعداء فاقتربوا منهم دون أن يطلقوا عليهم سهماً, لأنهم كانوا ينظرون إليهم على أنهم صيادون يرتزقون من عملهم وليسوا محاربين، ولمّا سألوهم عن سبب تقاعس جيش الملك بهرام عن الخروج إليهم بعد أن احتلوا هذا الجزء الهام من بلاده أجاب الصيادون



(إن بهرام يمتلك جيش كبير من أمهر رماة فارس.. فسألهم الجنود: (وهل في فارس من هو أمهر منكم في الرماية؟ لقد شاهدناكم وأنتم ترمون الطير والحيوانات فما رأيناكم تخطئون الهدف مرة واحدة) فقال الصيادون لو كنا في مستوى رماة جيش بهرام لما تحملنا كل هذه المشاق في سبيل الحصول على طعامنا يوماً بيوم). وما أن سمع الجنود هذا الكلام حتى أسقط في أيديهم و وامتلأت قلوبهم بالفزع والرعب فطلبوا إلى قائدهم أن يسرع بالعودة بهم فوراً وإلا انسحبوا جميعاً وتركوه بمفرده.

وفي أوروبا استخدم الأسبان أساليب الحرب النفسية عام ١٥١٩م حيث استخدم (كورتيز) الأسباني الذي غزا المكسيك الخيل لنشر الإرهاب النفسي في صفوف أعدائه.

ومن ذلك أيضا ما قام به (نابليون بونابرت) حينما حاول غزو مصر عام ١٧٩٧م ليستعبد أهلها ويستغل ثرواتها فادعى أنه (حامي الإسلام) فلقد دعا الفرنسيون الشيوخ والعلماء المصريين لزيارة المجمع العلمي الذي إنشاؤه في القاهرة, وقاموا أمامهم ببعض التجارب الكيميائية والطبيعية ليبهروهم بتفوقهم العلمي. فلقد استغل نابليون كبار علماء الثورة الفرنسية في استخدام التفاعلات الكيميائية العلمية وما قد ينتج من هذه التفاعلات من أصوات غريبة لاستثارة دهشة أفراد الشعب المصري وتعجبهم لما يحدث أمامهم يرونه ويسمعونه. وفي هذا بطبيعة الحال إقناع ضمني على مقدرة الفرنسيين في التحكم في الظواهر وإحداث المعجزات, وقد ساعد على ذلك تأخر المصريين في ذلك الوقت في هذه الفنون والعلوم نسبياً, كما في ذلك إشعار المصريين بضعفهم إزاء تلك القوة الخارقة التي أظهرها الفرنسيون على هذا النحو. والذي قام به الفرنسيون من أعمال أمام المصريين هو في النهاية من صميم عمل الحرب النفسية التي تعتمد على إثارة الانفعالات واستغلال هذه الإثارة في عملية الإيحاء. فهي تقوم على إلغاء العقل والاهتمام بالجانب الانفعالي من شخصية الإنسان, لأن العدو إذا استطاع أن يتحكم في انفعالات أفراد الشعب كان من السهل عليه بعد ذلك التأثير عليهم بأي نوع من أنواع الإيحاء.

وبالرغم من أن الحرب النفسية عرفت منذ القدم إلا أن أصولها من الناحيتين العلمية والفنية لم تتضح إلا إبان الحرب العالمية الأولى خاصة بعد ظهور علم النفس وبدء تطبيق هذا العلم بأبحاثه المنهجية في مضمار حياتنا, وخلال الحرب العالمية الثانية استخدمت أساليب الحرب النفسية على أوسع نطاق, وأنشأت الدول المتحاربة هيئات إستراتيجية وتكتيكية للقيام بتوجيه الحرب النفسية في مختلف الميادين. فسلكتا في ذلك مسلكين هما:

١) إخافة أعدائها المباشرين.

٢) وتهدئة خصومها المنتظرين.



وأصبحت الحرب النفسية في العصر الحديث أحد ميادين الصراع بين الدول إلى جانب الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية, واتسع نطاق استخدامها بشكل لم يسبق له مثيل أثر التقدم التكنولوجي في فن الدعاية والتأثير.

هذا التقدم لا ينبغي التقليل من أهميته, فكل دولة تسعى في الوقت الحاضر لأن يكون لها نصيبها الموفور في هذا المجال. ولكن الذي يحدث كثيراً أن الإيمان بالرسالة والثقة في أحقية الهدف, وثقة الشعب بنفسه وقادته كثيراً ما تغطّي الفرق في هذا التقدم التكنولوجي.



الفصل الثاني

أنواع الحرب النفسية

أنواع الحرب النفسية. للحرب النفسية أنواع مختلفة وتختلف الأسس التي يتم على ضوئها تحديد هذه الأنواع ويمكننا حصرها فيما يلي:

١. تقسيم الحرب النفسية على أساس الحالة التي توجه فيها:

أ). الحرب النفسية وقت الحرب. وهي الحرب النفسية التي يشنها موجهها ضد الأعداء في وقت الحرب وفي أثناء وخلال المعركة حيث تكون الحرب النفسية سلاحا مساعدا لتحقيق أهداف العمليات الحربية وذلك لتدمير الرباط النفسي للعدو، وغزو عقله وقلبه بأساليب الحرب النفسية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنفال:٦٥].

ب).الحرب النفسية في السلم. وهي التي تبث إلى الأعداء في حالة اللاحرب وهي تكون بمثابة غزو فكري بمعناه ومضمونه غايتها التضليل أو التعديل الفكري قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: "**يا حسان اهج المشركين وجبريل معك إذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان**"(١).

٢. الحرب النفسية على أساس الزمن:

أ).الحرب النفسية طويلة المدى (الإستراتيجية). وهي الحرب الموجهة إلى جميع أفراد لعدو من مدنيين وعسكريين وتستخدم وسائط متعددة، وتتميز ببعد مرماها في الوقت فهي حرب نفسية بعيدة المدى وغير محدودة بزمان ولا مكان، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال:٦٠].

ب)الحرب النفسية قصيرة المدى (التكتيكية). وهي الحرب النفسية الميدانية وتوجه ضد تشكيلات العدو في الميدان القتالي، فهي محدودة المنطقة ومحصورة في نطاق الجبهة من خلال إشاعة الأخبار السيئة عن مؤخرة العدو وإقناع العدو بعلم الخصم بما يجري في جبته الداخلية

(١) البخاري (٦/٥٩).



ووحداته. ومن ذلك قول المشركين في غزوة الخندق عندما رأوا الخندق: (والله إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها)(٢).

ج)الحرب النفسية التعزيزية. وهي الحرب النفسية التي توجه نحو الأهالي لتقوية وتعزيز وتبرير العمليات الحربية في إقليم العدو المحتمل وذلك للحصول على أكبر درجة ممكنة من تعاون الأهالي ومن ذلك قول الرسول ﷺ لنعيم بن مسعود عندما اسلم ولم يعلم قومه بإسلامه قال له: "**إنما أنت رجل فينا رجل واحد فخذل عنا أن استطعت فإن الحرب خدعة**"(١).

٣)الحرب النفسية على أساس قوتها.

أ) الحرب النفسية الدفاعية. هي ما تقوم به الجهة المتصدية للحرب النفسية التي تشن عليها من أعدائها محاولة تعطيلها أو الحد من أثارها بعوامل وأساليب مختلفة. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ ﴾ [الحج:٣٨].

ب)الحرب النفسية الهجومية. هي مفاجأة العدو بغارات نفسية مباغته لتحطيم معنويات العدو وبث الرعب بين صفوفه، والإغارة المباغتة للحصول على الأسرار والمعلومات والوثائق العسكرية الهامة وكشفها لإرباك القيادات المعادية. في الحرب العالمية الثانية أخذت أجهزة الدعاية والإعلام اليابانية تروج أخبار مبالغاً فيها عن خسائر الأمريكيين في الإشتباكات البحرية. وأحست الحكومة الأمريكية بأن إذاعة هذه الأنباء خلقت موقفاً معقداً داخل الولايات المتحدة وأحدثت تأثير سيئاً في معنويات الشعب الأمريكي , فلم يسع الحكومة الأمريكية أمام هذا الموقف الخطير إلا أن تطمئن جماهيرها وترفع من روحهم المعنوية, فتصورت أن نشر الحقائق عن خسائرها هو العمل المضاد الوحيد لإفساد هذه الخطة اليابانية المدمرة. وكان هذا بالضبط ما أراده اليابانيون للوصول إليه فلقد كانوا حتى ذلك الوقت لا يعرفون حقيقة خسائر أعدائهم الأمريكيين. وما إن نشرت السلطات الأمريكية هذه الحقائق حتى استطاع اليابانيون أن يعرفوها.

٤).الحرب النفسية على أساس المضمون.

أ) الحرب النفسية العقائدية (الأيديولوجية). وهي تتمثل في الصراعات المتبادلة بين الأيديولوجية وغيرها مما يوجد نوعا من الجدل بين وجهات نظر متعارضة تتضمن الدفاع عن هذه

(٢) محمد المخلف: الحرب النفسية (الرياض: دار عالم الكتب، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ) ٢١.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٣، ٢٤٧.



وهدم تلك. كما فعلت قريش مع النبي ﷺ عندما قال له أبو لهب عليه من الله ما يستحق: (تبـاً لـك سائر اليوم ألهذا جمعتنا)[٢].

ب) الحرب النفسية الإعلامية. وهي كل ما يبثه الخصم من تضليلات لتحطيم عدوه بأية وسيلة إعلامية. ومن ذلك أشعار كعب الأشرف اليهودي في مكة بعد موقعة بدر التي يحث فيهـا القرشـيين على الأخذ بثأر قتلاهم في تلك المعركة، كما أنشدها عند عودته إلى المدينة وفـي حـضور بعـض المسلمين إمعانا في شدة تلك الحرب النفسية الإعلامية وبثها بين الناس.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ، ٧٦.



الفصل الثالث

الاستعمار النفسي

١.الاستعمار النفسي.

عرف العلم منذ القرن الخامس عشر الميلادي ما يسمى بالاستعمار الغربي، والآن ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرون يشهد العالم نوعا جديدا من الاستعمار يمكن تسميته بالاستعمار النفسي. أن هذا الاستعمار الجديد يعمد إلى استعمار النفوس والعقول والأفئدة بدلا من استعمار الأرض، وذلك يعني السيطرة على كل شيء وأمتنا العربية والإسلامية مستهدفة من هذا الاستعمار لما فيها من طاقات متنوعة وثروات طبيعية هائلة، ولما تحمله في عقيدتها ودينها من مقومات الصمود أمامه.

والحقيقة أن القضية عندنا منوطة أولاً بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته، من حيث نشعر أو لا نشعر. وما دام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا، وتبديدها وتشتيتها على أيدينا، فلا رجاء في استقلال، ولا أمل في حرية، مهما كانت الأوضاع السياسية، وقد قال أحد المصلحين: (اخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم).

إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، كصواريخ موجهة، يصيب بها من يشاء. فنحن لا نتصور إلى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبواقاً يتحدث فيها، وأقلاماً يكتب بها، إنه يسخرنا وأقلامنا لأغراضه، يسخرنا له، بعلمه، وجهلنا.

إن الاستعمار يهدف إلى هزيمة امتنا هزيمة نفسية تشعر معها بمرارة العجز والقهر واليأس ووضعها تحت خياران إما أن تفنى وأما أن تلقي بنفسها في أحضان المستعمر.

والحق أننا لم ندرس بعد الاستعمار دراسة علمية، كما درَسنا هو، حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية، وحتى الدينية، من حيث نشعر أولا نشعر.

٢. أهم وسائل الاستعمار النفسي.

أ) وسائل الإعلام. أدرك الاستعمار الغربي أهمية وسائل الأعلام فلا عجب أن لديه (١٢٠) وكالة إعلام دولية في العالم لها (٢٠٠) فرع توكيل في العالم العربي وميزانية تعادل ميزانية التعليم في العالم العربي أجمع، والإعلام الغربي عامة يمثل أكثر من ٩٠ % من الإعلام العالمي.

ب)ثورة المعلومات. استطاع الاستعمار أن يتخفى تحت قناع ثورة المعلومات فمثلا الإنترنت تروج لثقافة الغرب فتقريبا ٨٨% من المادة المعروضة إنجليزية، ٩% ألمانية، ٢% فرنسية فأين نصيب اللغة العربية.



١) **قناع الاقتصاد والسياسة.** وقد خُيل إلى هذا الاستعمار أنه سينصر بالرعب فيتحدث إلى أفراد مستعمرته بلغة الاقتصاد، فتكون العقوبات الاقتصادية المجحفة، والحصار الاقتصادي، وما الذي فعله بالعراق قبل الاحتلال وبعده، ليبيا، السودان منا ببعيد ، أما لغة السياسة فتكون بالوعيد والتهديد، والحملات الشعواء، والتقارير المزيفة، والاتهام برعاية الإرهاب، والتحذيرات لرعايا الأجانب من دخول هذه الدولة أو تلك لأنها تدعم الإرهاب وتكبت الحريات، وتضطهد الأقليات (إذن لابد من قانون حماية الأقليات).

٢) **الرعب العسكري النووي.** فإن لم تجد لغة الاقتصاد والسياسة نفعا برزت لغة الرعب العسكري النووي وتحركت الأساطيل البحرية وحاملات الطائرات والقنابل الذكية وصواريخ (كروز) والغواصات النووية.

٣) **غفلة الأمة الإسلامية.** نحن أمة نكاد لا نستوعب دروس الأحداث الماضية والحالية نعتمد على العاطفة دون أن تساندها خطط مدروسة وتحليلات علمية متأنية ، فبعضنا يدير ظهره للماضي ، ويرضى بالواقع، ويسقط المستقبل من حساباته ويهرب من واقعه بالمباريات، وبالأغاني، والأعمال الدرامية، حتى يظن من يشاهد قنواتنا الفضائية إننا أمة لا تعرف الهموم، وترفل بالنعيم وتبسط نفوذها على العالم أجمع.

٣. أساليب الاستعمار النفسي.

أ) عمليات غسيل المخ. وهي العملية التي يقصد به تحويل الفرد عن اتجاهاته وقيمه وأنماطه السلوكية وتبنيه لقيم أخرى جديدة تفرض عليه، وتعتمد العملية على عدة أسس نفسية وفنية لضمان نجاحها، مثل: الإيحاء، والإنهاك الجسدي بغية إضعاف المقدرة الفكرية، وزرع الشك، وتدمير الذات بالإذلال والتحقير مما يودي هذا إلى سذاجة بعض أبناء الأمة الإسلامية حين ينبهرون بأقنعة الاستعمار، فلا عجب حينئذ أن ترى من يحتفلون بذكرى الحملة الفرنسية على مصر، ولا غرابة أن نجد بعض العائدين من الدراسة في الدول الغربية يثورون على مبادئهم الإسلامية وقيمهم العربية عند عودتهم لأوطانهم ليكونوا معول هدم بدلا أن يكونوا مطورين ومنتجين وساعين لرفع الجهل التنموي في بلادهم الإسلامية.

ب) الدعاية. وهي باختصار استخدام أي وسيلة إعلامية أو شعبية يقصد بها التأثير في عقول جماعة معينة أو في عواطفهم من أجل تحقيق غرض عام معين، سواء كان الغرض عسكريا أو اقتصاديا أو سياسيا وذلك في إطار خطة موضوعة ومنظمة مسبقا(١). والدعاية أنواع والذي يعنينا

---

(١) أحمد نوفل: الإشاعة (الأردن : دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ) ٣٢٤.



منها الدعاية الرمادية التي تفسر الأحداث باللون الذي يناسبها ويخدم أغراضها، والدعاية السوداء التي تتخفى وتتنكر دون أن تعلن عن مصدرها الحقيقي.

جـ) إثارة الرعب والفوضى في البلاد. وذلك يهدف إلى السيطرة الكاملة على الشعوب والتغلب عليها.

د) افتعال الأزمات. لتؤثر في نفسية الخصم، وتشتت أفكاره، وتظهر عجز الحكومات عن حماية الأمن في البلاد وإقناع الرأي العالمي بوجود معارضة شعبية لها.

هـ) الشائعات. وهي من أهم وسائل الاستعمار النفسي وقد استخدمت قديما وحديثا بكفاءة وتعتمد على الترويج لخبر مختلف لا أساس له في الواقع وقد تكون الشائعات أخبار متداولة بين الناس أو أعمال درامية (مسلسلات وأفلام) أو دعايات ونكت.

٤.خطط الاستعمار النفسي الإستراتيجية.

أ – إشاعة روح العجز والاستسلام. حتى لا تقوم للشعوب قائمة وبهذا تهيئ النفوس والعقول لتقبل أفكاره، وأعانه على نجاح هذه الإشاعة تلك الضربات الموجعة والإبادة الجماعية التي تعرضت لها بعض البلدان في العالم الإسلامي، ثم تقف بقية الدول الإسلامية عاجزة عن رد العدوان عنهم، أو بلغة أخرى لا يسمح لهم بالتدخل، فالمفتاح السحري لهذه الأزمات بيد من خطط لها.

ب– تشويه صورة المسلم العربي. عمدت الدعاية الغربية إلى تشويه صورة العربي المسلم في وسائل الإعلام بصورة فجة وجعله رمزاً للتخلف والإرهاب والأمثلة كثيرة منها ما عرضته إحدى القنوات التلفزة الأمريكية في عام(١٩٧٥م) في أحد الإعلانات عن المنظفات حيث يبدأ الإعلان بصوت المعلن (إن هذا الصابون ينظف أي شيء حتى العربي) وتستمر المهزلة فيظهر شخص في زي عربي متسخ وتحاول إحدى الفتيات تنظيفه بالمنظف الجديد وينتهي الإعلان بقول الفتاة: (لقد بذلنا كل ما في وسعنا)، وعندئذ يقول المعلن: (إن تقارير المختبرات أثبتت أن عدم نظافة العربي لا يرجع إلى عدم جودة المنظفات، ولكن لأن العربي لا يمكن أن يصبح نظيفاً أبدا)[١].

ج– تشويه التاريخ والرموز الإسلامية. ومنها ما ينشر عن رموز الإسلام من كذب وشائعات وتصوير ذلك في مسلسلات وأفلام، وزرع ثقافة أن الدين الإسلامي انتشر بحد السيف وأنه يكبل حرية الفكر، وصوروا قادته على أنهم لم يكونوا إلا أصحاب نزوات ومطامع لا أصحاب مبادئ ورسالة ومن هؤلاء هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهما والحضارة الإسلامية ما هي إلا حضارة زائفة عاشت عالة على غيرها من الحضارات التي سبقتها كالحضارة اليونانية والرومانية

(١) زياد أبو غنيمة: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية (الأردن: دار عمار).



والهندية وامتد التشويه إلى بعض الرموز العربية والإسلامية المعاصرة من قادة ومصلحين ودعاة لتشويه التاريخ لبث روح الكراهية له من الشعوب والديانات الأخرى.

د- **الغزو الفكري الثقافي.** وشعاره التنوير والتمدن، والتقارب بين الأديان، والإسلامي العصراني، ولا عجب حينئذ أن نرى بعض الفضائيات العربية تعرض ثقافة الجنس وتروِّج لصداقة الجنس الآخر، وتدعو إلى التحرر الفكري والانفتاح على الثقافة الغربية بمدلولها الشامل: من لغة، ودين، وطرق حياة وسلوك، وقيم أخلاقية، فهذه برامج لتعليم الرقص الشرقي، ومسابقات ملكات الجمال في الدول الإسلامية، وبرامج ستار أكاديمي وغيرها من الأفكار الضالة.

هـ- **علمنة المجتمعات وإضعاف الوازع الديني.** أدرك الاستعمار النفسي قديماً أن الدين الإسلامي هو سر قوة المسلمين وصمودهم في وجهه، فوضع على عاتقه رسم الخطط الكفيلة بالقضاء عليه، أو على الأقل إضعاف أثره في المجتمعات الإسلامية وفصله كلياً عن الدولة وفصله كلياً عن الدولة الحديثة، وكان له في ذلك عدة خطوات منها تقليص المناهج الدينية وتشويه المستقيمين إعلاميا وبث الشائعات حول الشخصيات الإسلامية والربط الجائر بين الإسلام والإرهاب وعلى النقيض من ذلك تلميع صور الفانين والرياضيين وجعلهم صفوة المجتمع ونجومه.

و- **إضعاف اللغة العربية.** قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله)[1]. فاللغة العربية والدين الإسلامي كلٌّ لا يتجزأ، ولكن هناك دعوات مسعورة إلى استخدام العامية بدلا من الفصحى، فلا عجب أن ترى إقامة الندوات وتنظيم المسابقات التي ترعى هذا التوجه الخطير.

ز- **تفتيت وحدة الأمة الإسلامية.** عملا بالمثل السائد (فرق تسد) فحقق شيئاً مما أراد، إما عن طريق إحياء القوميات، أو عن طريق إشعال فتيل النزاع بين الدول العربية والإسلامية فالتبس على الكثيرين معرفة العدو من الصديق، منشغلين عن العدو الحقيقي الذي يتربص بالجميع ليفتك بهم.

ح- **استنزاف الطاقات.** ورأى ضرورة استنزاف الطاقات والإسلامية، وحرمان العالم الإسلامي منها، فهو سبب تدمير اقتصاد(ماليزيا- إندونيسيا). ولم ينس بالطبع تفريغ الدول الإسلامية عامة والعربية خاصة من عقولها المفكرة والمبدعة، فوضع أمامها العراقيل، وفي المقابل لوَّح لها بالإغراءات في بلاده، فهاجرت عقولنا الإسلامية لتسهم في فقر بلادنا وتقوم بتشييد صرح حضارة الغرب، وماذا تصنع أمة بلا عقول مفكرة أو مبدعة؟!

(١) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: (بيروت: دار المعرفة، د ت) ٢٠٣.



ط- التأثير على الروح المعنوية للجيش عن طريق:

أ- إنقاص كفاءة القتال لدى أفراد القوات المسلحة.

ب- إضعاف معنويات الجنود والتأثير على مقدرتهم القتالية عن طريق بث روح الهزيمة والتخاذل, وتشجيعهم على الهرب أو التمارض

ج- التأثير على تفكير الجنود ومعنوياته للوصول بهم إلى حالة تؤثر بطريقة مباشرة على سير المعركة كالفتنة أو التمرد.

د- تشكيك الجنود في شرعية القتال, وإضعاف حماسهم له.

ه- المبالغة في تصوير قوة العدو وإمكانيته وتسليحهم.

و- تشكيك الجنود في قادتهم وتسليحهم وتدريبهم.

١٠) التأثير على الروح المعنوية للشعب عن طريق:

أ- زعزعة ثقة الشعب في زعمائه وقادته بالتشكيك في مقدرتهم وإخلاصهم.

ب- بذر الشقاق والتفرقة بين طوائف الشعب وفئاته المختلفة بقصد الوقيعة بينهم

ج- إثارة الأقليات ودفعها للتمرد.

د- تحريض الحركات والمذاهب والعقائد لمقاومة السلطة.

هـ- زعزعة ثقة الشعب في الجيش وبإمكانية تحقيق النصر أو الصمود أمام الأعداء.



الخلاصة والاستنتاج

١ــ الخلاصة. نجد مما سبق أن أخطر ما يواجه الأمة الإسلامية في هــذا العــصر هــي الحرب النفسية بوجه عام وأن حروب هذا العصر تعتمد على الحرب النفسية بوجــه خاص قبل أي تدخل عسكري.

أ. الفصل الأول . مفهوم الحرب النفسية ونشأتها:

(١) مفهوم الحرب النفسية. وهي التي تؤثر على سلوك الإنسان ومعنوياته

(٢) نشأة الحرب النفسية وتطورها. قصة آدم عليه الــسلام كانــت بــدايتها مــرورا بالأنبياء والرسل والدعوة الإسلامية إلى عصرنا الحاضر.

ب. الفصل الثاني. أنواع الحرب النفسية:

١ــ الحرب النفسية على أساس حالة السلم أو الحرب.

٢ــ الحرب النفسية على أساس الزمن. كأن تكون إستراتيجية أو تكتيكية أو تعزيزية.

٣ــ الحرب النفسية على أساس القوة في الدفاع أو الهجوم.

٤ــ الحرب النفسية على أساس المضمون. سواء الأيديولوجية أو الإعلامية.

ج. الفصل الثالث. الاستعمار النفسي:

جاء بديلاً للاستعمار العسكري ليعيد الأيام البغيضة للأمة الإسلامية متنكرا في عــدة وسائل منها الإعلام الاقتصاد الغزو الفكري وغيرها من وسائل.

٢ــ الاستنتاج. مما سبق ومما قرأت أرى انه يجب علينا كأفراد ومجموعــات أن نحــصن أنفسنا بالتقوى والمعرفة ونعلم أن الحرب النفسية تشن علينا من أعدائنا لذا يجب علينا أن نطور هذا السلاح لصالحنا فعندنا من العقول والإبداعات الشيء الكثير إذا استغلت استغلالاً جيدا وبهذا نستنتج ما يلي:

أ. إن الحرب النفسية جبهة مهمة من جبهات القتال التي لا تغفل.

ب. يجب تثقيف المجتمع بأغراضها وأخطارها.

ت. الاستفادة من التاريخ فإن التاريخ يعيد نفسه.



قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- ابن هشام: السيرة النبوية.

٤- محمد المخلف: الحرب النفسية دار عالم الكتب الرياض ط الرابعة، ١٤١٨هـ.

٥- حامد زهران: علم النفس الاجتماعي بيروت دار عالم الكتب ط الرابعة ١٩٧٧م.

٦- صلاح نصر: الحرب النفسية دار القاهرة، ط الثانية ١٩٦٧م.

المجلات

١- مجلة البيان، المنتدى الاسلامي، لندن، العدد١٦٣ سنة: ١٤٢٢هـ .



